

# الخطوات السعودية في اليمن

بلال صعب

مجلة شؤون خارجية، 29 آذار/ مارس 2015

العنوان الأصلي للمقال: (Houthi and Blowback)

وكالة القدس للأنباء - ترجمة آمنة الأشقر

بتدخلها في اليمن، تنوي المملكة العربية السعودية ضرب عصابات عدّة بحجر واحد. فهي، على المدى القصير، تقوم بحماية بلادها من الخطر الذي يشكله ثورّ جماعة الحوثي الداعمة لإيران. وأمّا على المدى المتوسط، فإنّ المملكة السعودية تحاول إعادة بسط سيطرتها على العالم العربي بشكل عام، ودول تحالف مجلس الخليج المتشنج. وأخيراً، وعلى المدى البعيد، فإنها تحاول إعادة التوازن الجيوسياسي في الشرق الأوسط بينها وبين إيران، بعد أن كانت كفة ميزان القوة راجحة لإيران، بسبب تخفيف الدعم الأميركي لدول الخليج بشكل أو بآخر.

المملكة الآن تستطيع تحقيق أول هدفين بسهولة، وإذا ما استطاعت السعودية لعب أوراقها بشكل صحيح وجيد، فإنه يمكنها تحقيق هدفها الأخير بسهولة شديدة، وستتمكن، نتيجة ذلك، من تثبيت مكانتها في المنطقة، في الوقت الذي تشهد فيه دول مثل مصر والعراق وسوريا حمام دم بفعل الصراعات الداخلية، والاضطرابات السياسية والانهيال الاقتصادي. طبعاً هنالك الكثير من المخاطر في استراتيجية السعودية، إلا أن قائد السعودية الجديد ارتأى أنّ الحلّ البديلة ستكون نتائجها أكثر خطورة.

كانت اليمن شوكة في خاصرة المملكة العربية السعودية (وبعض دول الخليج الأخرى، بمن فيهم عُمان) منذ تأسيس الدولة في ثلاثينيات القرن الماضي. شكّلت اليمن تهديداً للأمن القومي السعودي بسبب عدد سكانها الكبير، وانتشار التطرف، مع تعاضم قوة تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية. واليوم، ترى السعودية في اليمن تهديداً أكبر بعد سيطرة الحوثيين الشيعة على أجزاء كبيرة من اليمن، خاصة في المناطق المتاخمة للسعودية. وهذا الأسبوع، قررت السعودية ردع الحوثيين، عن طريق التنسيق مع 9 دول (هي: البحرين ومصر والأردن والكويت والمغرب وباكستان والإمارات العربية المتحدة) وإطلاق حملة جوية على اليمن.

المملكة السعودية التي سبق وأن حذرت واشنطن من محدودية الحرب الجوية أثناء محاربة القاعد والدولة الإسلامية في العراق والشام، تعلم أنّ الضربات الجوية وحدها لن تصلح الوضع في اليمن أو تمنعه من الانهيار. ولكنها تؤمن أن باستطاعة تلك الأعمال العسكرية إضعاف قوة الحوثيين عبر تدمير قدراتهم الهجومية العسكرية، بما في ذلك الصواريخ الاستراتيجية ومستودعات الأسلحة والدبابات والطائرات المقاتلة، التي تمكّن الحوثيون من الاستيلاء عليها من الجيش اليمني بهدف استخدامها ضد المصالح السعودية، وإعادة الرئيس المنتخب عبد ربه

منصور هادي الى الحكم في جزء من البلاد على الأقل، خاصة في الجزء الجنوبي، حيث ميناء عدن والقواعد الجوية في العند.

كما تأمل السعودية في أن استخدام القوة من شأنه إضعاف ميزان القوة الداخلية في اليمن، وإجبار الحوثيين - الذين يتلقون دعماً عسكرياً ولوجستياً وأمناً من طهران - على الحضور إلى طاولة الحوار مع الحكومة المنتخبة والفصائل اليمنية الأخرى، مثل الحراك الجنوبي الانفصالي والمؤتمر الشعبي العام برئاسة علي عبد الله صالح وحركة الإصلاح اليمنية المدعومة من السعودية.

إذا ما أثبت النهج السياسي - العسكري الذي تتبعه الرياض فعاليته في اليمن، فلن يكون هناك من حاجة لتدخل بريّ. إلا أن الطريق الأنجع لهذا التكتيك هو التفكيك الممنهج للتحالف الذي شكله الحوثيون مع قوات صالح. وهو ما سيتطلب أموراً عدّة، أبرزها حوافز سياسية واقتصادية سبق وأن بدأت السعودية بالعمل على ترتيبها.

يجب ألا نغفل من شأن قدرات الحوثيين على خوض حرب طويلة، خاصة وأن إيران قررت زيادة قوتها في اليمن وجررت السعودية وحلفائها الى حرب استنزاف. لكن من المرجح أن تقرر طهران، التي تكمن مصالحها في العراق وسوريا، دفع حلفائها نحو الحلّ السياسي، ما سيضمن لها "حصة أكبر من الكعكة" ( التي قد ينتهي بها المطاف لأن تكون واحدة من ستة محافظات معرّفة في مسودة الدستور دون القدرة على الدخول الى البحر). ومن غير المرجح أيضاً أن يمضي الحوثيون قدماً في معترك هذه الحرب، وحدهم، خاصة وأنهم قد يضطرون الى التلاحم مع باقي الأحزاب اليمنية.

من جهته، استنكر صالح عملية عاصفة الحزم؛ ولكن ربما إذا ما قدّم له التعويض الكافي وضمان بقائه السياسي، فقد يقوم بقطع علاقاته بالحوثيين. لكن الرياض أظهرت اهتماماً ضئيلاً في الدخول في بازار سياسي مع صالح وابنه. ووفقاً لما نقلته قناة العربية، المدعومة من المملكة السعودية، فقد كان قبل يومين من بدء العملية العسكرية في السعودية ليعرض إمكانية الانقلاب ضد الحوثيين مقابل تأمين الحصانة له ولوالده.

سيكون لحرب السعودية على اليمن الكثير من التداعيات على الدولتين وعلى المنطقة بأسرها. فإذا ما قامت السعودية بتهدئة الأوضاع في اليمن، فإنها ستمكن من تعزيز قيادتها للعالم العربي، وستثبت أيضاً لدول الخليج أن لا غنى عنها. أمّا إذا ما تدهورت الأوضاع في اليمن، فستفقد السعودية جزءاً كبيراً من قوتها وهيبتها فيما بين دول مجلس التعاون الخليجي، ما سيفقد السيطرّة على دول المجلس بشكل دراماتيكيّ.

كل ما سبق سيشكل نذير شؤم للملكة العربية السعودية، وسيهدد خططها الرامية لإنهاء السلطة الإيرانية على الشرق الأوسط. إذ ستنتهز إيران فرصة الفشل السعودي في اليمن لتلميع صورتها في الشرق الأوسط وتعزيز تواجدها واستكمال سياستها التوسعية في كل من العراق وسوريا ولبنان واليمن وأي مكان آخر. لا تزال السعودية تتمتع بعلاقات سليمة مع الولايات المتحدة ضد إيران، ولكن الرياض، وبعض دول الخليج، تعتبر أن واشنطن قامت بتقديم الشرق الأوسط لإيران على طبق من ذهب مقابل اتفاق نووي. إلا أنه استنتاج عار عن الصحة، وسخيف، لكنه الاستنتاج السائد في المنطقة الآن، وتطبق السياسات الرسمية اعتماداً عليه.

قام الكثيرون بانتقاد السعودية، واعتبروا أن خطوتها في تصعيد الأمور عسكرياً في اليمن سيؤدي بالمنطقة وبالمملكة الى التهلكة. ولكن في الحقيقة، فإن استراتيجية السعودية في اليمن – أي استخدام القوة العسكرية من أجل إعادة هندسة السياسات – هي خطوة متزنة أكثر مما يظنه النقاد. إذ تشكل السيطرة الإيرانية على اليمن خطراً على السعودية أكثر من أي وقت مضى. فالتواجد الإيراني في اليمن سيسمح لها بالسيطرة على باب المندب، الممر الاستراتيجي لشحن النفط بين البحر الأحمر وخليج عدن وقناة السويس. ولا يمكننا تخيل حجم الخطر الذي ستواجهه دول الخليج والاقتصاد العالمي من سيطرة إيران على مضيق هرمز، حيث يمر أكثر من ربع نفط العالم. وعلى هذا، و عوضاً عن توجيه النقد لإيران، يتوجب على واشنطن أخذ الحيطة والحذر.

ولكن هذا لا يعني أنّ ما تقوم به المملكة السعودية العربية ليس خطيراً. ولكن السعودية، المعروفة تاريخياً بتجنبها للمخاطر، عازمة على تحمّل النتائج. وكما لخص أحد سفراء العرب البارزين الوضع قائلاً: "لايملك الحوثيون سلاحاً نووياً، ولكن هذه "أزمة الصواريخ الكويتية" الخاصة بالسعودية. هل ستحمّل واشنطن وجود قاعدة صواريخ بالستية قادرة على استهداف المدن الأميركية بكل سهولة؟" يجب على السعودية ألا تقترف أي خطأ. فهذه الحرب إما سترفع السعودية أو ستقضي عليها.